الرسالة

(عبرانيين ٩: ١١–١٤)

يا إخوةُ إنَّ المسيحَ إذ قد جاءَ رئيسَ كهنةٍ للخيراتِ المستقبَلَةِ فبمسكِنٍ أعظمَ وأكمَلَ غيرِ مصنوعٍ بأيدٍ أي ليس من هذه الخليقة* وليس بدمِ تُيوسٍ وعُجولٍ بل بدمِ نفسِهِ دخلَ الأقداسَ مرَّةً واحدة فوجد فداءً أبديًّا* لأنَّه إن كان دمُ ثيرانٍ وتيوسٍ ورَمادُ عِجلةٍ يُرشُّ على المنَجَّسينَ فيقدِّسُهم لتطهيرِ الجسد* فكم بالأحرى دمُ المسيحِ الذي بالروحِ الأزليِّ قرَّبَ نفسَهُ للهِ بلا عيبٍ يطهِّرُ ضمائرَكم من الأعمالِ الميِّتةِ لتَعبُدوا اللهَ الحيَّ.

الإنجيل

(مرقس ١٠: ٣٢–٤٤)

في ذلك الزمان أخذ يسوعُ تلاميذَه الإثني عشَرَ وابتدأ يقول لهم ما سيعرِضُ له: هوذا نحن صاعدون إلى أورشليمَ وابنُ البشر سيُسلَم إلى رؤساءِ الكهنة والكتبةِ

«حقَّقتَ القيامة العامّة»

في سبت لعازَر الذي نحتفل به السبت القادم في ٢٣ نيسان، وفي زيّاح الشعانين، تُرَنِّم الكنيسة المُقَدَّسة قائلة «أيها المسيح الإله، لمّا أقَمت لَعازَر من بين الأموات قَبل آلامك، حَقَّقت القيامة العامة». كلمات الترنيمة تدلّ على أننا في هذا اليوم لا نقف عند حدّ الإحتفال بإقامة ربنا المسيح لصديقه لعازر بل نتطلَّع إلى ما يحمله إلينا هذا الحدث، بالأخصّ في هذا التوقيت بالذات. أي في ختام مسيرتنا الأربعينيّة التطهيريّة وعلى عتبة الأسبوع الذي سوف تتحقّق فيه، في التاريخ البشري، ذروة التدبير الإلهي لخلاصنا. نشدّد على أهمية التوقيت ذلك أن المسيح كان قد أقام أمواتاً آخرين قبلًا، كابن الأرملة في نايين (لوقا ٧: ١١–١٧) والصبية ابنة رئيس المجمع (مرقس ٥: ٣٥–٤٣)، وربما غيرهما، لكن النصوص الإنجيلية والليتورجية تقف في تلك الحالات عند الحدث بذاته. وإن كانت معجزات القيامة هذه فيها شيء من الإعلان المُستَتِر عن قيامة المسيح، واسترجاع للنبوءات التي تختصّ بالزمن المسياني. أي زمن التدبير الخلاصي الحاصل بالمسيح ابن الله.

نعود إلى مسألة القيامة العامة. معلوم أن معظم شعب الله آنذاك كان يؤمن بيوم سوف ينبعث فيه كل الأموات إلى الحياة من جديد، ولو اختلفت التفسيرات لهذه القيامة، بين هذه الجماعة الدينية وتلك. لدى أنبياء العهد القديم نبوءات ورؤى كثيرة تتحدّث عن «قيامة الكل». في رؤيا النبي حزقيال تُعاد العظام اليابسة إلى الحياة (٣٧: ١–١٤). عند إشعياء النبي جثث الأموات سوف تستيقظ والراقدون في التراب سوف يترنّمون (٢٦: ١٩). وفي رؤيا دانيال النبي أن «الراقدين في تراب الأرض سوف يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي» (١٢: ٢). شعب الله إذاً آمن بـ «قيامة الكل»، وبأنه أيّاً كانت الطريقة التي أُخذَت بها من الإنسان حياته الجسدية فإن الله الذي وحده يخلق هو أيضاً وحده يُقيم. لكن يبدو أن هذه القيامة بقيت، في الوجدان الجماعي لشعب الله، مجازية رمزية. أو في

العدد ١٦ / ٢٠١٦

الأحد ١٧ نيسان

الأحد الخامس من الصوم

أحد القديسة مريم المصرية

تذكار الشهيد في الكهنة سمعان

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر الثاني

أفضل الحالات فَهماً ضبابياً للخلاص من سُلطان الجحيم. أما الثابتة فأنه سوف يأتي يومٌ يقهَر اللهُ فيه الموتَ، من أجل شعبه.

في النص الإنجيلي الذي يروي حادثة إقامة لعازَر حوار بين الربّ يسوع ومرثا أخت لعازر يُلَخِّص من جهة مرثا إيمان شعب الله آنذاك ورجاءه بالقيامة العامة ويفتتح بلسان الربّ يسوع الإعلان عن تَحَقُّق الغلبة على الموت. لا مجازياً أو ضبابياً بل واقعياً، عملياً: «قال لها يسوع: سيقوم أخوك. قالت له مرثا: أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة، في اليوم الأخير. قال لها يسوع: أنا هو القيامة والحياة، من آمن بي ولو مات فسَيَحيا، وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد. أتؤمنين بهذا؟ قالت له: نعم يا سيد، أنا قد آمنتُ أنك المسيح ابن الله، الآتي إلى العالم» (يوحنا ١١: ٢٣–٢٧). إذاً «أنا هو القيامة»، قال السيّد الربّ. منذ تلك اللحظة لم يعد «يوم القيامة العامة» حدثاً مُستَقبَلياً ننتظره أو نترجّاه، وإن كان سوف يحدث زمنياً في وقت ما. منذ تلك اللحظة يسوع صار هو الحَدَث. أو بالأحرى صرنا نعرف أنه هو الحَدَث، وأن هذه الـ «من آمَن بي» هي مفتاح الدخول إلى الحَدَث. قديماً تكلَّم الربّ بفم نبيّه هوشع فقال: «من يد الهاوية أفديهم. من الموت أُخَلّصهم. أين أوباؤك يا مَوت؟ أي شوكتك يا هاوية؟ تختفي الندامة عن عينَيَّ» (١٣: ١٤). أي كأننا هنا بالرب يسوع يقول لمرثا «لقد أتت تلك الساعة الموعودة وها أنا أتيت لأبيد أوباء الموت وأكسر شوكة الجحيم». ويستوقفنا هنا تفصيل تختلف به معجزة قيامة لعازر عن معجزات القيامة الأخرى، التي قام بها الربّ يسوع: هنا الميت كان قد أنتن، ويوحي لنا سياق النص أن الربّ يسوع أبطأ عَمداً في المجيء. أهمية هذا التفصيل، وفي هذا التوقيت بالذات، في أنه يتجاوز بنا الحَدَث المَوضعي لإقامة الميت، إلى المستوى الأعمق أي القيامة العامة: الجثة التي أنتَنَت ترمز هنا إلى الموتى منذ القديم.

أمام الجَمع المُتَجَمهر حول القبر، وهذا الجمع يرمز إلى كل إنسان ما زال يقف أمام الموت موقف الخوف من المجهول وحُزن الذين لا رجاء لهم (١ تسالونيكي ٤: ١٣)، صَرَخ الربّ «بصوت عظيم: لعازَر، هلمَّ خارجاً»، على ما يروي لنا الإنجيلي (يوحنا ١١: ٤٣). من يأمر، و«بصوت عظيم»، هو فقط من له السلطان. لا هذا وحسب بل وأيضاً «حلّوه ودعوه يذهب»، يأمر الربّ يسوع. في المعنى الرمزي لهذا تأكيدٌ على أن القيامة بيسوع ليست مُجرَّد عودة إلى الحياة على الأرض بل هي حياة جديدة حرّة من كلّ قيود الأهواء المُميتة. وإن عُدنا إلى كلام الربّ لمرثا نفهم أمرين: الأول هو أن الغَلَبة الموعودة على الموت لم تَعد وعداً مُستَقبَلياً بل تحقَّقت الآن، والثاني أن من آمن بيسوع يصبح للتوّ قائماً. أي بقدر ما يكون إيمانه بيسوع كيانياً وعَمَلياً، يتطَعَّم من غَلَبة يسوع. في إنجيل القديس يوحنا، لَعازَر الخارج من القبر يرمز إلى المؤمنين الذين ينتزعهم يسوع، بكلمة أمره، من سلطان الموت. هذا ما نعنيه بالترنيمة إذ نقول «لما أقَمتَ لعازر ... حَقَّقت القيامة العامة»، وكأنّنا نردّد إعلان إيمان مرثا إذ قالت: «نعم يا سيد، أنا آمنت أنك أنت المسيح ابن الله، الآتي إلى العالم».

القيامة العامة إذاً تَحَقَّقت، أي حصلت في الزمان الحاضر. يعني فيحكمون عليهِ بالموت ويُسلِمونَهُ إلى الأمم* فيهزأون به ويبصُقون عليهِ ويجلِدونه ويقتُلونه وفي اليوم الثالث يقوم* فدنا إليهِ يعقوبُ ويوحنَّا ابنا زَبَدى قائلَيْنِ يا معلّمُ نريد أن تصنعَ لنا مهما طلبنا* فقال لهما ماذا تريدان أن أصنعَ لكما* قالا له أعطِنا أن يجلِسَ أحدُنا عن يمينك والآخرُ عن يسارك في مجدك* فقال لهما يسوعُ إنَّكما لا تعلمان ما تطلبان. أتستطيعان أن تشربا الكأسَ التي أشرَبُها أنا وأن تَصْطَبِغا بالصِبْغَةِ التي أصطبِغُ بها أنا* فقالا له نستطيع. فقال لهما يسوعُ أمّا الكأسُ التي أشربُها فتشربانها وبالصِبغَةِ التي أصطبغ بها فتصطبِغان، وأمّا جلوسُكما عن يميني وعن يساري فليس لي أنْ أُعطِيَهُ إلاَّ للذين أُعِدَّ لهم* فلمَّا سمع العَشْرَةُ ابتدأوا يغضَبون على يعقوبَ ويوحنَّا* فدعاهم يسوع وقال لهم قد علِمتم أنَّ الذين يُحسَبونَ رؤساءَ الأمم يسودونَهم، وعُظَماءَهم يتسلَّطون عليهم* وأمّا أنتم فلا يكونُ فيكم هكذا*

ولكن مَن أراد أنْ يكونَ فيكم كبيراً فليكُنْ لكم خادماً* ومَن أراد أن يكونَ فيكم أوّلَ فليكُنْ للجميع عبداً* فإنَّ ابنَ البشر لم يأتِ ليُخدَمَ بل ليخدِمَ وليبذُلَ نفسَهُ فداءً عن كثيرين.

تأمل

إنّ للمجد الباطل من القوة ما يكفي حتى لإعماء البشر عن الحقائق البيّنة. لهذا السبب تفوّه مخلّصنا بهذا التوبيخ: «كيف يمكنكم أن تؤمنوا، وأنتم تقبلون المجد بعضكم من بعض، ولا تبتغون المجد الذي من الله وحده» (يو ٥: ٤٤)؟ هذا الهوى إنّما هو نوعٌ من التسمّم الخفيّ الذي يعسر الشفاء منه، إذ إنه يفصل النفوس عمّا أخذته من السماء، ويرسلها ٣إلى الأرض، ولا يُجيز لها أن ترفع أبصارها نحو النور الحقيقيّ. إنّه يقنعها دوماً بأن تتمرّغ في الحمأة. لذا الإنسان المصاب بهذه العلّة يقوم بكلّ ما يظنّه مقبولاً عند أسياده، ويفعل ذلك طوعاً وبلا دعوة، فبسببهم يرتدي الملابس الفخمة ويجمّل وجهه، باذلاً تلك الجهود البالغة لا لأجل نفسه ، بل لأجل الآخرين.

أن المؤمن بيسوع، كيانياً وعملياً، ليس فقط يتذوَّق الغلبة على الموت بل يعيش حياته، في بيته وفي عمله وأينما كان، في قيامة مُسبَقة. «إنها تأتي ساعة وهي الآن، حين يسمع الأموات صوت ابن الله، والسامعون يَحيَون»، يقول الربّ يسوع (يوحنا ٥: ٢٥). هذا التصريح الواضح، المتمثّل خاصة بعبارة «وهي الآن»، يختبره المؤمن فعلياً بالمسيح كما يُعَبِّر أيضاً القديس يوحنا في رسالته الأولى إذ يقول: «نحن نَعلَم أننا انتقلنا من الموت إلى الحياة». أي أن انتقالنا من الموت إلى الحياة لم يعد مسألة رجاء مستقبلي بل قد حصل بالفعل، وعبارة «نحن نعلم» تعني أننا نؤمن بهذا إيمان من يختبر الشيء ويعرفه يقيناً.

الجهاد لعَيش هذا الاختبار والسعي لاقتناء هذا اليقين، هما المُحَرّك الأساس لكياننا كمؤمنين بالمسيح وهما الأساس في ما نَبْتَنيه لحياتنا الحاضرة من مبادئ وقِيَم وأخلاق. «فإن كنتم قد قُمتُم مع المسيح، فاطلبوا ما فَوق، حيث المسيح جالس عن يمين الله»، يقول القديس بولس (كولوسي ٣: ١). من جهة أخرى لا بد من التأكيد أن إيماننا اليقيني هذا لا يُبطل البتّة انتظارنا القيامة الأخيرة، التي يصوّرها لنا سفر الرؤيا في مشاهد رائعة (٢٠: ١١ إلى ٢٢: ٥). أكثر من ذلك، فالمؤمن ينتظر بفارغ الصبر يوم يُغَيِّر الربّ يسوع المَسيح «شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده»، على ما يقول القديس بولس (فيليبي ٣: ٢١). لكنَّه انتظار بصفاء وسكون، إذ إنه يعيش مُقَدَّماً باكورة تلك الحياة المُستقبلية، على ما يقول أيضاً القديس بولس الرسول.

الجلوس عن اليمين

منذ الأحد الخامس وقبل الدخول إلى الآلام والقيامة توجهنا الكنيسة المقدسة لرؤية المسيح صاعداً إلى السماء ليجلس عن يمين قدرة الله حيث ينبغي على كل واحد منا أن يجلس. غاية العمل الخلاصي أي التجسد، الصلب، الموت والقيامة: الصعود، صعود طبيعتنا البشرية من فسادها ليعيدها الرب إلى حالتها الأولى طاهرة من كل عيب.

إن الجلوس عن يمين شخص ما، كحالة مكانيَّة، يشير منذ القدم إلى المكان الرفيع والمستوى السامي. والجلوس يشير أيضاً إلى الإنتهاء من إنجاز مهمة بكمالها. بهذا فإنَّ الربَّ يسوع المسيح أتمَّ وأنجز العمل الخلاصي مقدِّماً ذاته على الصليب لغفران خطايا العالم، فلم يبق شيء آخر لأي شخص أن يقوم به من أجل خلاص العالم «وليس بأحد غيره صار الخلاص لأن ليس اسمٌ آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص» (أع٤: ١٢) «لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كلُّ ركبة ممَّن في السماء ومَن على الأرض ومَن تحت الأرض، ويعترف كلُّ لسان أن يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد اللهِ الآب» (في ٢: ٩–١١).

من ناحية أخرى إنَّ عبارة اليمين أو اليسار تقال عن أي كائن محدود بيمين ويسار. أمَّا الله فهو غير محدود، وبالتالي لا يوجد فراغ حوله يجلس فيه أحد، لأنَّه مالئ الكل وحاضر في كل مكان. ولو جلس الابن إلى جواره، لكانا متجاورين، وهذا ضد قول « أنا في الآب، والآب فيّ» (يو ١٤ : ١١). لذلك كلمة «يمين» إنَّما ترمز إلى **القوة** «يمين الربِّ صانعةٌ ببأسٍ، يمين

الربِّ مرتفعةٌ. يمين الربِّ صانعةٌ ببأسٍ لا أموتُ بل أحيا وأحدِّث بأعمالِ الربّ» (مز١١٨: ١٦-١٧)؛ وإلى **العظمة**: «الذي وهو في بهاء مجده ورسْمُ جوهره وحاملٌ كلَّ الأشياء بكلمة قدرته بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم» (عب١: ٣)؛ وإلى **البر**: «صار باكورة للراقدين وبكراً من بين الأموات ليكون هو نفسه الكلَّ متقدِّماً في كل شيء، وإذ صعد إلى السماوات جلس عن يمين عظمتك في الأعالي وهو سيأتي أيضاً ليجازي كلَّ واحدٍ بحسب أعماله» (من قداس القديس باسيليوس الكبير).

في المقطع الإنجيلي الذي نقرأه في الأحد الخامس من الصوم (مر١٠: ٣٢-٤٥) نرى أن يعقوب ويوحنا يطلبان من الرب يسوع أن يجلسا واحدٌ عن يمينه والآخر عن يساره في مجده. لقد كان التلاميذ يفكرون دوماً بالملكيَّة الأرضيَّة دون أن يعوا حقيقة الملكوت السماوي. لقد اشتهى التلميذان أن يملكا على الأرض ملكاً دنيويًّا. وبسؤال الرب يسوع لهما «ماذا تريدان» يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أنَّه ليس عن جهل منه للأمر، وإنما ليلزمهما بالإجابة، فيفتح الجرح ويقدم له الدواء. وبجواب الرب لهما ذكر الكأس والصبغة (المعمودية) ويقصد بهما الصليب.

تعلّمنا الكنيسة المقدَّسة من خلال هذا المقطع الإنجيلي أنَّ المسيحي الحق لا يسعى إلى أي مجدٍ باطل، بل عليه أن يحمل صليبه كلَّ يوم ويسير مع الربّ نحو أورشليم باذلاً نفسه بخدمة أخيه ليصل في اليوم الأخير لمعاينة نور القيامة المجيدة: «من قال إنَّه ثابتٌ فيه ينبغي أنَّه كما سلك ذاك هكذا يسلكُ هو أيضاً» (١يو٢: ٦). لقد جاء المسيح ليخدم لا ليُخدم. لم يأتِ ليأمر وإنما ليطيع؛ لم يأتِ لكي تُغسل قدماه بل لكي يغسل هو أقدام تلاميذه. جاء لكي يُضرب لا ليضرب، ليحتمل ضعفات الآخرين لا يصفع أحدًا، ليُصلب لا ليصلِب.

خلال هذا الصوم كانت الكنيسة تحثنا على التواضع ونبذ حب الرئاسة والتمثّل بربنا يسوع المسيح الذي أخلى ذاته آخذاً صورة عبدٍ لخلاصنا. في الأيام المقبلة نقترب أكثر فأكثر من آلام ربنا الخلاصية وقيامته المجيدة لهذا فلنهيء مصابيحنا مزيّنين إيَّاها بالفضائل والإيمان القويم لندخل مع العريس السماوي إلى العرس حيث لحن المعيّدين النقي ونسمع صوت الرب يناديا قائلاً: «تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعدّ لكم منذ تأسيس العالم» (مت٢٥: ٣٤).

سبت لعازر وأحد الشعانين

بمناسبة سبت لعازر في ٢٣ نيسان ٢٠١٦ تُقام خدمة السَحَر يليها القداس الإلهي في كافة كنائس الأبرشية . كذلك تُقام خدمة أحد الشعانين صباح الأحد ٢٤ نيسان في كافة كنائس الأبرشية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

هل يمكن لأيّة حالة عقليّةٍ أن تكون أشدّ بؤساً من هذه؟ ذلك أنّ الأهواء الأخرى، حتى ولو كانت مؤذيّة جداً، إلاّ أنّها تجلب معها شيئاً من متعة سريعة الزوال على الأقل. فهؤلاء الذين يعشقون المال، أو الخمرة، أو النساء، يُحرِزون متعةً ما في موازاة الضرر؛ أمّا المأسورون لهوى المجد الباطل فيعيشون بمرارةٍ مجرَّدين من المتعة، كونهم لا يحصلون على ما يطلبونه جدّياً، ألا وهو المجد. هم يظنّون أنّهم ينعمون بالمجد، لكنّهم لا ينعمون به حقاً، لأنّ ما يطمحون إليه ليس مجداً على الإطلاق. حالتهم العقلية فارغةٌ من المجد، لذلك دعاها القدماء مجداً باطلًا عن صواب. هي فارغةٌ تماماً، ولا تشتمل على شيءٍ ضمنها، لا شيء ممّا هو زاهٍ أو مجيد. هكذا يزخرف تصفيقُ الجمهور من الخارج هذا الهوى، هذا الخصم الخطر، هذا السيّد القاسي. أمّا ذاك الذي يقوم بالأعمال بغية إرضاء البشر غير المستحقين، مفضِّلًا ذلك على إكرام الفضيلة، كيف يمكن أن يكون مستحقاً لأيّ شيء.